موقع البحث الموجه من البحث العلمي

د. بوبكر عواطي
جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة –

إن توجيه التعليم، لا يخلو من التأثير في نمو البحث الموجه وفي طبيعته، وذلك بقدر ما يتجه هذا التوجيه إلى دراسة الماضي أكثر من مجرد بحث موضوعي للحاضر والمستقبل. أو بقدر ما يهتم هذا التوجيه بالقيم والمبادئ أكثر من اهتمامه بأنواع السلوك و التدرجات الاجتماعية المشخصة. إن المقارنة بين المجتمعات، تؤدي في الواقع إلى إبانة الأثر الذي تمارسه بعض المفاهيم الأساسية لنظام اجتماعي على التعليم وعلى نمو البحوث الموجهة ومضمونها. فهنا نجد أن معنى المبادئ، ومعنى المؤسسات يؤدي خاصة إلى إعداد إصلاحات خاصة بالنظام الاجتماعي بالطرق الشرعية، النظامية؛ وهناك نجد أن معنى الممارسة والسلوك يعتمد لا على رجال القانون بل على علوم السلوك. إن علم السياسة الذي شهد تجديدات عميقة خلال العقود الأخيرة يدل في تطوره على الانتقال من نظرة حقوقية إلى مفهوم يعتمد على العوامل الاجتماعية. وبالنسبة لنمو البحث الموجه ليس الأمر واحدا حين نرى أن التغيير الاجتماعي يمكن أن يحدث بواسطة مراسيم وإصلاحات قانونية أو يمكن أن يحدث نتيجة دراسات تتجه إلى السيكولوجية، وإلى العوامل الاجتماعية الثقافية والى المعطيات الاقتصادية.

إن الحالة الفكرية التي يمكن أن تتجلى لدى الدول الحديثة في توجيه التعليم، رهن بالبنى الاجتماعية التي ترافقها. ففي مقابل مجتمعات النظام القديم، بل وحتى في مقابل المجتمعات ذات البنية الأرستقراطية ، نفكر بالبنى

السياسية الديمقراطية أو الشعبية. إذ أن ما يهم الجماهير، و أوسع فئات المواطنين فيها هو موضوع مناقشات عامة، وهو معروض للباحثين على أنه يهمهم بصورة مباشرة. أليست البلاد الانكلوسكسونية و البلاد الاسكندينافية هي التي أنمت منذ زمن طويل،حالة فكرية عملية ونفعية متوافقة مع الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، فأتاحت قيام سنة في البحوث الموضوعية تسبق الإصلاحات الاجتماعية وتهيئ لها؟ [1]

ولكن ثمة اتجاهات أكثر حداثة تستحق أن يشار إليها هنا لإظهار فعل الإيديولوجيا وأشكال الوعي الجماعي. فمما يلفت الانتباه أن نرى بعض الدول التي يعبأ فيها البحث العلمي في إطار خطط التنمية القومية كم يهمل التمييز بين البحث الموجه والبحث الأساسي الحر، بل كم هو مستنكر وعلى حساب هذا البحث الأخير. ولو أخذنا بعض البلاد فقط، كالبلاد الاشتراكية إذ فيها إمعان في التخطيط تحت إشراف ورقابة الدولة، لوجدنا ألا معنى للتمييز فيها لأن كل شيء في هذه البلاد موجه. هنا يزداد عسرا علينا أن نلحظ البحث الحر الأساسي.

إن الاهتمام بالتخطيط والتوقع المستند إلى ايديولوجيا والمطبق على قطاعات مختلفة من الحياة الاجتماعية قد يبدو مناسبا لنمو البحث الموجه. بالنتيجة نحن نصل إلى أنظمة تقويمية: إذ هي التي تحدد المكان الذي يؤول للبحث والدور الذي يمكن أن تؤديه مختلف نماذج البحث، والمشكلات التي يمكن أن يتصدى لها البحث الموجه.[2]

---

[1] - ناجي عبد القادر: أجهزة تنظيم البحث العلمي، ورقة مقدمة للمؤتمر الأول للوزراء العرب المسؤولين عن البحث العلمي المنعقد ببغداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (4 – 7) فبراير 1974 مطبعة التقدم، القاهرة، 1975. ص. 8

[2] - سيتوارت ماكلور: من التعليم الجامعي إلى التعليم العالي للجماهير: ترجمة محمد سوكت، مطبوعات اليونيسكو، القاهرة، عدد 8: 1978 ص. 102

يبقى السؤال هو أليس هناك تمايز يذكر بين نمط البحث الحر والبحث الموجه ؟

نقول أن هناك بالضرورة فرقا، والفرق هنا يتبع من التطبيق وليس من العلم. فقد تصنع بعض المجتمعات لنفسها أولويات معينة وتوجه بحوثها لمواجهة تلك الأولويات حماية.

إن الاتصالات، والجسور، والمبادلات، والعلاقات المثمرة الخلاقة، هي أهداف أولى للكثيرين من معاصرينا في عالم متغير، وتجرى فيه عمليات التخصص والتمايز التي هي مصدر للتباعد. إن الجهود الفريدة التي تبذل أحيانا زمنا طويلا في دروب متوازية منفصلة عن بعضها، تتطلب مواجهة، وتقاربا واندماجا ببعضها. ومشكلات التأليف هذه موجودة في ميادين عديدة من نشاط الإنسان، وهي بالتأكيد ليست جديدة، فهي مطروحة في مستوى المعارف مثلما هي مطروحة في مستوى العمل. إن تعدد الاختصاصات وسرعة نموها يعطيان هذه المشكلة أبعادا جديدة. والأمر كذلك على وجه الخصوص بالنسبة للعمل المعد إعدادا علميا والمتوقع حدوثه. فهنا ليست المعارف وحدها هي التي ينبغي مقارنتها ببعضها وجمعها، بل ينبغي الجمع بين المعرفة والعمل أيضا.[3]

بين ميدان التفكير النظري، حيث المعرفة وحدها هي التي تهمنا، وبين ميدان العمل المبين، إذ الأولوية للفائدة ولإمكان الاستعمال، ثمة في علوم الانسان منطقة فسيحة تختلط فيها الاهتمامات النظرية والنفعية بنسب متفاوتة: فهنا الاهتمام بالمعرفة يرتبط بصورة ما بالاهتمام بالعمل. إن هذا المجال من الدراسة هو ما نطلق عليه تعبير " البحث الموجه" Recherche Orientée.

---

[3] - Nachmias (D) : Research Methods In The Social Sciences. New York, Martin Press. 1981, Pp-16-17

سمات البحث الموجه

لو حاولنا أن نحدد ولو بصفة أولية بعض سمات البحوث الموجهة، لأتضح لنا أنها بحوث مبرمجة. تسير وفق خطة، سواء من حيث منهج البحث ذاته، أو من حيث المعطيات النهائية للبحث. كما أن هذه البحوث، تؤدي دورا محددا لخدمة قضية مجتمعية محددة. ولا يهم كثيرا أن تكون تلك القضية – إيديولوجية أو اجتماعية أو إنتاجية أو حتى ثقافية – المهم أن يكون البحث موظف لخدمة أو لحل قضية أو مشكلة مجتمعية محددة بشكل عام وواضح، وضمن إطار تنسيقي ليظم كافة البحوث الآنية و المستقبلية.

ومن الطبيعي، أن يجنح البحث الموجه إلى التكنولوجيا في العلوم الطبيعية، أو نحو ما يعرف بالهندسة الاجتماعية في العلوم الإنسانية، وكلها مجالات تطبيقية أو عملية للبحوث العلمية. وحتى البحوث التي تصنف ضمن قائمة البحوث لنظرية والتي توجه هي الأخرى لتغذية البحوث التطبيقية، بالفكر المتجدد والقوانين والنظريات التي تنهض عليها التكنولوجيا سواء الطبيعية أو الاجتماعية.[4]

و ينفي دعاة البحوث الموجهة، أن يكون التوجيه هنا بمعنى توجيهها للحصول على بيانات معينة.. ذاتية أو محددة سلفا، لأن ذلك لو تم يخرج تلك البيانات عن دائرة الحقيقة ويبعدها عن الواقع، فتفقد بذلك علميتها و موضوعيتها.

ويؤكد دعاة البحث الموجه، أن هذا النوع من البحوث إنما نشأ تلبية لاحتياجات مجتمعية معينة وأن نضجه و استمراريته تكمنان في قدرته على

---

[4] - Viet (J.) : Tendances et organisation des recherches relatives à la politiq scientifique : Eléments d'Information, Document Unesco Ss/41/3.241./4/ P.1

تلبية الحاجات، أي أن بقاء ونمو هذا النمط البحثي رهن بأدائه لوظائفه المنوطة به في المجتمع.[5]

مفهوم البحث الموجه

إن تعبير " البحث الموجه " حديث الاستعمال نسبيا، وينبغي أن نعترف بأنه محدود. فهو غير شائع الاستعمال في البلاد الناطقة بالفرنسية. الأمر الذي يحملنا على الاستنتاج، أن هذا المفهوم قد يفتقر إلى التمايز لأنه لا يظهر في المقابلات الكلاسيكية بين " العلوم الصرفة و العلوم التطبيقية " أو بين " البحوث النظرية والبحوث العلمية " أو بين " البحوث الأساسية والبحوث التطبيقية. "

بل أن هذا التعبير قد يوحي للوهلة الأولى بمعنى يجب استبعاده فورا: معنى بحث موجه نحو معنى ذاتي بقصد الحصول على نتائج محددة، بدلا من الخضوع إلى الواقع. إن التعابير المماثلة باللغة الإنجليزية هي التي تدل على المعنى الحقيقي للبحث الموجه، فتعابير " Problem- Focused Reserch بحث المشكلة المركزية " أو" بحث المجال المستخلص "Field Induced Research هي تعابير أكثر وضوحا. إن البحث الموجه نقوم به بغية حل مشكلة، وهو مستخلص أو ناتج من المكان الذي يقع عليه هذا البحث: فهو ليس موجها إذن في الاتجاه الذي يؤمل الحصول منه على جواب.[6]

إن تحليل العناصر لا يؤدي بنا إلى ما هو أبعد منها. والاستعمال وحده هو الذي يوضح أن البحث الموجه إنما ينشأ استجابة لحجات اجتماعية، وأنه ينضج بالاستناد إلى هذه الحاجات وأنه مسير بها إلى حد ما: أنه يتركز على

---

[5] - علي عبد المعطي محمد: السياسة، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1974، ص 381

[6] - صلاح مصطفى الفوال: منهجية العلوم الاجتماعية، عالم الكتب، القاهرة، 1982، ص 232

المشكلات التي تتطلب عملا مستنيرا علميا، فهو بحث وظيفي بالمعنى الذي أعطاه " مالينو فسكي. " [7]

ولكن أليست مادة البحوث كلها في مجال العلوم الإنسانية مرتبطة إلى حد كبير بالمشكلات المطروحة على المجتمعات التي تنمو فيها هذه العلوم ؟

ميادين البحث الموجه

لا شك في أننا نفكر أولا فيما يعتبر عند المجتمعات المعاصرة مشكلة فورية لدى الرأي العام، أو في كل ما يمكن مكافحته، أو تغييره أو تحسينه بفضل البحث العلمي.

إن البحوث الموجهة نهضت على أساس مواجهة مشكلات مجتمعية ملحة تتطلب حلا سريعا، يضمن إشباع الحاجات الحالية والمستقبلية لغالبية المواطنين.

وما المشكلة المركزية في التخلف بشعبها الثلاثة – الفقر والجهل والمرض – إلا واحدة من تلك المشكلات التي تبحث دول العالم الثالث عن حل لها عن طريق البحوث الموجهة، ومن المشكلات المعاصرة التي تنتظر حلولا على يد البحوث الموجهة، مشكلات الشباب، والانحرافات، والسكان، والإرهاب وقياسات الرأي العام حول موضوع ملح أو عاجل ... إلخ.

كل هذه مجالات وظيفية يتعامل خلالها البحث الموجه. ويقصد هنا بالمجالات الوظيفية: المجال المباشر للمشكلة فقر، جهل، مرض، تخلف، انحراف... الخ، وبالمقابل يمكن أن تكون هناك مجالات جغرافية للبحوث الموجهة. ونعني بها المجالات القطاعية، كأن يمارس البحث الموجه نشاطاته

---

7 – Malinowski (B) : Une théorie scientifique de la culture, Maspero, 1968, P.184

ضمن قطاع الريف أو المدينة أو المصنع أو المدرسة أو الحي أو الإقليم أو حتى على المستوى القومي... الخ.[8]

هذا وقد تتسع مجالات البحث الوظيفية والجغرافية لتضم مشكلات أوسع، كمشكلات التغير والتخطيط، ومشكلات السياسات المختلفة بين الدول، ومشكلات الحرب، أو حتى مشكلات الصراع الإيديولوجي... الخ.

المهم أن كل أنماط البحث الموجه في مجال العلوم الاجتماعية، تحدد أو تختار له مشكلاته في نطاق تخصص كل علم. لا سيما بين الاقتصاد والاجتماع والسياسة والأنثروبولوجيا وعلم النفس. نقول نختار المشكلات في نطاق تخصص كل علم من العلوم الإنسانية، لكن التخطيط أو التنسيق عند بحث المشكلات خاصة ما اتسم منها بالعمومية أو الشمولية، يتطلب تعاونا مدروسا بين مختلف باحثي تلك العلوم، الأمر الذي يجعلهم في معظم الأحوال يعملون كفريق خصوصا بالنسبة لدراسة المشكلات ذات الأبعاد المتعددة كمشكلة التخلف أو الهجرة أو التغير.. و ما إليها.

وإذا كنا بحاجة إلى أمثلة، فيكفي أن نشير إلى بعض برامج البحث التي تمولها السلطات العامة، كوزارة الدفاع مثلا في الولايات المتحدة، والمفوضية العامة للبحث العلمي والتقني في فرنسا، أو تلك التي تمولها هيئات ومؤسسات مهمتها الرئيسية التقدم الاقتصادي والاجتماعي. ولئن كان البحث الموجه جوابا عن حاجات اجتماعية، فإن تغييره الواضح جدا يتجلى حيثما تكون الحاجات الاجتماعية موضوع تفكير منهجي، يساعد على توجيه البحث وحفزه. إن إدراك ضرورة التنبؤ بالمستقبل هو حافز ذو شأن. فالعلوم الاجتماعية تلاحظ التبدلات السريعة التي تصيب المجتمعات، تظهر هذه التبدلات في تاريخها هي: فهي

[8] – سامي سلطي: دراسة مقارنة لإدارة وتنظيم البحث العلمي في الجامعات، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، 1979، ص 19

تراها لا كشيء معطى لا سبيل إلى رده، بل كمحصلات كضروب السلوك والقرارات التي يتخذها الأفراد والجماعات.[9]

البحث الموجه بين البحث الحر والبحث التطبيقي

التمييز بين البحث الموجه والبحث التطبيقي في رأي كثير من علماء المنهجية، يكاد – أي التمييز – يكون معدوما لاتحادهما في الغايات التي يسعيان إليها، ويتضح ذلك من اختلاط مفهوم كل من البحث الموجه والبحث التطبيقي لدى الكثيرين خصوصا في ظل تعريفات كل من النمطين، التطبيقي والموجه.

هناك بالضرورة فروقا، سواء من حيث المنهج أو الهدف بين كل من النمطين التطبيقي والموجه، ولعل أهم تلك الفروق يتمثل فيما احتكم إليه " بيير ديبية " انطلاقا من مفهومي التكرار والإفادة، باعتبار أن البحث التطبيقي هو تطبيق لمعرفة، أو هو توظيف لما سبق أن عرفناه في سبيل استعمال مشخص وعملي، وبحيث يتسم البحث التطبيقي بأن الجهد المبذول خلاله في أغلب الأحيان يتناسب مع الإفادة العملية من النتائج دون أن يتجاوزها. علاوة على أن البحث التطبيقي لا يتعدى في معظم الأحوال أن يكون مجرد تكرارا، حيث يعيد الباحث خلال هذا النمط تطبيق هياكل للتحليل وأطر المفاهيم والتقنيات والأدوات، يعيد التطبيق على واقع اجتماعي مشخص.

ويضيف " بير ديبيه " أنه في البحث التطبيقي نجد أحيانا الطريق الموصلة من الدراسة إلى العمل أشد قصرا
و وضوحا، بل أن جودة النتائج مضمونة في أغلب الأحيان.[10]

ولا يبدو أن الأمر على الرغم من ذلك شديد التعارض بين كل من النمطين التطبيقي والموجه، لأننا لو شئنا المقارنة فلن نجد سوى بعض

---

[9] Viet (J.) : Tendances et organisation des recherches relatives à la politique scientifique : Eléments d'information. *op.cit.* P.7-8

[10] *Ibid*, P.104

الاختلافات في الدرجة، بل لو زاد تعمقنا في كلا النمطين أكثر، سنجد حبال التعاون بينهما ممدودة، حيث يعتبر البحث التطبيقي أساسا أو حافزا للبحوث الموجهة، وقد يكون العكس أيضا صحيحا.

كان ذلك عن طبيعة العلاقة بين البحث الموجه والبحث التطبيقي، لكن ترى ما هو شكل وطبيعة الاختلاف بين كل من البحث الموجه والبحث الحر؟

البحث الحر أو البحث النظري – أو البحث الأساسي كما يحلو للبعض أن يسميه – تشكل المعرفة مجال اهتمامه الأساسي ولا يشغله عن ذلك أي شيء آخر، كما يتسم البحث الحر من حيث المنشأ بالاستقلالية وانتمائه إلى ذاتية الباحث، ويحركه فضول الباحث في كثير من الأحيان، بل نزواته أيضا في البعض منها. [11]

وفي المقابل نجد البحث الموجه يكاد يكون على النقيض من ذلك تماما، حيث يتجه نحو الحصول على معلومات دقيقة وواضحة عن المشكلة المطروحة في ضوء بعض الضمانات كالتخطيط والتقويم، حتى يحقق هدفه في المعالجة أو التنبؤ بأكبر قدر ممكن من النجاح.

وقد يكون ما ذكرناه، هو تمايز نقيضي يجعل كلا من النمطين على طرفي نقيض. لكن الواقع خلاف ذلك، خصوصا في مجال العلوم الاجتماعية التي تتسم بالتساند سواء من حيث طبائع الوقائع المبحوثة أو من حيث المناهج المستخدمة، خصوصا وأن معايير التمايز هنا ليست جامعة مانعة لا سيما في ضوء مفهومي التكرار والإفادة المشار إليها من قبل. [12]

وتجدر الإشارة، أن تاريخ العلم مفعم بالعديد من البحوث حتى في مجال العلوم الطبيعية. والتي نهضت في الأصل على غايات نظرية أو ذاتية أو حرة، ثم

[11] - صلاح مصطفى الفوال: منهجية العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص. 236

[12] -Lévi- Strauss (C): Problèmes posés par une étude des sciences sociales et humaines In Revue Interne. des sciences sociales, Vol. XVI, n° 4 1964, P. 578-59.6

ما لبثت أن صارت ركيزة كثيرة في حلول كثيرة للعديد من المشكلات المجتمعية. علاوة على أن ذلك التميز في حد ذاته، يسم البحوث الموجهة بأنها تجافى البحوث النظرية أو لا تسلك نفس قواعدها، وهذا في حد ذاته شيء غير صحيح على الإطلاق.[13]

والذين يحاولون اقامة تمييز بين نمط البحث الحر ونمط البحث الموجه، مصطنعين نفس الأسس التي يتركز عليها التميز خلال العلوم الطبيعية بين البحوث البحتة والبحوث التطبيقية، واهمون. **أولا** لأنه لا يوجد أساس موضوعي تستند عليه في اقامة نفس التمايز، **وثانيا** لأن التمايز بين العلوم الطبيعية البحتة أو الصرفة، وبين العلوم الطبيعية التطبيقية أمر تجاوزه العلم لأسباب كثيرة، **وثالثا** لأنه حتى ولو أخذنا بنفس المنطق التمايزي بين البحوث البحثة والبحوث التطبيقية في العلوم الطبيعية، سوف نجد أن العزل بين الظواهر الطبيعية من خلال التعامل معها إن كان أمرا ممكنا في مجال العلوم التي تدرسها، فإن العزل – كأسس للتمايز – هو المستحيل ذاته بالنسبة للظواهر الاجتماعية التي تتوافر على دراستها العلوم الإنسانية.[14] والعزل هنا قد يكون تفريغا لتلك الظواهر من مضمونها الاجتماعي، وقد يكون عزلا لها عن بقية الظواهر الاجتماعية المتشابكة والمتساندة معها بالضرورة، والعزل بمفهوميه مرفوض إلا في ضوء قواعد منهجية معينة ومن خلال أنواع خاصة من الدراسات " العلية " أو " السببية " مع اختلاف هدف العزل هنا حيث يستهدف الضبط التجريبي وصولا إلى تفسير للوقائع وفق متغيراتها المختلفة.

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من ذلك ليست كون التميز بين بحث موجه وبحث أساسي حرا أمرا غير ممكن في العلوم الاجتماعية، بل كون هذا التمييز أمرا صعبا يطرح في حدود مختلفة عن تلك في العلوم الطبيعية.

---

13 - Paillat (P.) : Social Research and A National Policy For Science, Tavistock Publications, 1964, P. 28
14 - *Ibid*, p. 31-33

إذن، الفرق الأساسي يكمن في أن:

- البحث الموجه: يتجه أصلا لتلبية أولويات معينة وبالتالي فان نتائجه تكون أكثر قابلية للتطبيق.

- البحث الموجه: يتسم بالتخطيط والتنسيق، والتخطيط المعني هنا، ليس هو تخطيط البحث وفق اطار خطة مجتمعية متكاملة، طويلة الأمد أو قصيرته، بهدف تحقيق حلول لمشكلات معينة والتنسيق هنا، يعني التنسيق بين كافة الخطط والبحوث في مختلف مجالات الحياة المجتمعية.

- إشراف الدولة وتدخلها من حيث تخطيط البحث وتمويله وتسيير مختلف مراحله وخطواته قد يكون بصورة أكثر مباشرة ووضوحا عنها في البحوث الحرة.

- خضوع البحوث الموجهة للعديد من العمليات التقويمية: سواء بهدف تقييم الإنجازات أو تعديل المسار لو اقتضت الضرورة ذلك.

- انطلاق البحوث الموجهة من مجموعة من القيم المجتمعية السائدة. أو قد يكون منطلقا نحو تدعيم عدد من القيم في اطار الإيديولوجية المجتمعية السائدة.

- قد تنهض البحوث الموجهة لتحقيق أهداف خاصة سواء على المستوى الاحتكاري الفردي أو الجماعي، أو على المستوى الدولي، كتحقيق أهداف سياسية أو استعمارية أو عنصرية ...الخ.[15]

صعوبات البحث الموجه:

إن العلاقات بين البحث والعمل تشكل عقدة مشكلات البحث الموجه. ولكي نرى ذلك بوضوح ينبغي أن نفكر بادئ ذي باده بالدراسات حول التنمية، وبكافة الدراسات الخاصة بأنواع التخطيط المحلي أو الوطني وأكثر هذه

---

[15]- صلاح مصطفى الفوال: تنمية المجتمعات – أسس نظرية – مكتبة القاهرة، الحديثة، القاهرة، 1968، ص. 163.

الدراسات تتميز بخاصة مشتركة فيما بينها وهي كونها في ملتقى أو في نقطة التقاطع بين البحث والعمل.

إن أسباب الاضطراب الذي ينتاب أولئك الراغبين في تعريف وتحديد معالم هذا النوع من الدراسات عديدة.[16]

أولا: من حيث المادة: يصعب التمييز بين الدراسات التي تفيد العمل مباشرة وبين البحوث الأكثر نظرية: إن ما كان معدا لإرشاد العمل ليس دوما ذا نتيجة، وما كانت له صفة نظرية يستعمل أحيانا في عملية إطلاع بقصد تبديل الأوضاع وتيسير إدخال تغيرات.

ثانيا: من حيث إطار المؤسسة، غالبا ما تكون الصلة متينة بين المكاتب والمصالح الإدارية الموكل إليها أمر القرارات من ناحية، وبين الهيئات الدراسية المكلفة بإعداد هذه القرارات من ناحية أخرى. وفي كثير من البلاد ثمة هيئات مشتركة، مهمتها البحث والعمل الواعي، ولم يعد ممكنا إقامة تمييز بين مؤسسات البحث ومؤسسات العمل.

- **الاقتراب من العمل:** إن هذا يدعونا إلى التفكير في البحوث الموجهة من حيث اقترابها من العمل كثيرا أو قليلا.

ثمة مجموعة كاملة من الدراسات لا ترتبط بالعمل إلا برابطة عريضة نسبيا، تنطبق و التفكير التالي: بما أن هذه المشكلة الاجتماعية تستوجب اهتمامنا (مثلا سلوك الشباب، شروط معيشة الأشخاص المسنين، ممارسة الطقوس الدينية) فمن المناسب أن نقوم بدراسات عنها. وكل ما قد يساعد على تحسين معارفنا في هذا الميدان، يمكن أن يكون مفيدا لنا في نطاق العمل. إن هذه الدراسات تنطبق على البحث الموجه بمعناه الواسع: إننا نسميها " البحوث الموجهة بنسبة كبيرة "

---

[16] مصطفى نظيف: البحث العلمي في العالم العربي هيئة الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية- بيروت، 1965، ص 32

وتختلف عنها اختلافا كبيرا البحوث التي علاقتها بالعمل وثيقة نسبيا، فهي تطابق نموذج التفكير التالي: بما أننا سنحدث تأثيرا في هذا المعطى أو ذاك (كمكافحة المساكن القصديرية، تنظيم منطقة ما، إنشاء طرق اتصالات، تبديل البنى الشكلية في مشروع صناعي أو في إدارة ما)[17]، فمن المناسب أن نعرف بدقة مجموع العناصر غير التقنية (العناصر البشرية، الاجتماعية: الاقتصادية، السياسية) التي ينبغي أن نضعها في الحسبان، وأن نتنبأ، حين يقتضي الأمر ذلك، بالشروط الواجبة الملاحظة لكي يتحقق التغير دون ما صعوبة كبيرة. إن هذه الدراسات باعتبارها استمرارا للعمل، تطابق بحثا موجها بمعنى أكثر دقة لذا فإننا نسميها " بحوثا موجهة تماما "

إن هذا التمييز، يسمح لنا بأن نضبط بدقة الصلات بين البحث الموجه والبحث النظري الأساسي ففي الدراسات الموجهة بنسبة كبيرة، يستطيع الباحثون ألا تكون لهم أبدا أو ألا تكون لهم إلا بعض الاتصالات مع رجال العمل. فهم أحرار في تطوير بحثهم في اتجاه نظري نسبيا، الأمر الذي قد يتيسر بفضل الحوار الفكري الأكاديمي الصرف.

بالمقابل فان العلاقات في الدراسات الموجهة الصرفة، بين الباحثين ورجال العمل هي أكثر وثوقا بكثير بحيث أن الباحثين حساسون حتما بالمشكلة المشخصة التي يطرحها رجال العمل، كون الباحثين يؤخذون في الغالب من المؤسسة نفسها، وكونهم أعضاء في فريق يخضع فيه تصور الدراسات إلى إعادة النظر بصورة مستمرة من زاوية اهتمامات التخطيط والقرارات الواجب اتخاذها.

17- Piaget (J.) :Tendances principales de la recherche dans les sciences sociales et humaines. Unesco, 1970 , p . 65-69

استخدام النتائج:

إن البحث الموجه قد يؤدي إلى استخدام عملي لنتائجه، أي أن بعض القضايا التي يؤدي إليها البحث قد تساعد على صياغة مقررات عملية، وعلى دعم سياسة، أو على الإيحاء بعمل ما على الأقل.

إن الوصول إلى تطبيق النتائج العلمية، والبحث عن هذا التطبيق هو مهمة على درجة من التعقيد بحيث أصبحت هي ذاتها موضوع برنامج للبحوث. وقد أنشئ في جامعات متطورة " مراكز للبحث من أجل استخدام المعرفة العلمية، بهدف التقدم في هذا الميدان الخاص.

و بوضوح أكثر، ليس الموضوع هنا الحصول على أي نموذج من نماذج الاستخدام. إن مجرد وجود فرع علمي ما وتطوره، يحدث أثرا في الفروع الأخرى، وقد ييسر نمو أشكال من التفكير: " الفكر القانوني " أو الفكر الاقتصادي " أو منظور علم النفس ". إن أي بحث يمكن أن تكون له نتائج من هذا النوع: نتائج من نموذج غير متوقع.

إن الموضوع المعني هو أولا وبصورة خاصة الاستخدام المرتقب أو المتوقع، أي تحويل عناصر الجواب التي يقدمها البحث إلى صيغ عمل.

إن الشروط الموضوعية للاستخدام عديدة، وهي تمتزج ببعضها في الواقع بأشكال متعددة، ونعرض الآن لعدد منها.

- مادة البحث:

إن بعض البحوث، تهدف إلى تقديم معطيات وصفية ذات طابع سكاني أو اقتصادي أو اجتماعي. ينبغي معرفتها من أجل وضع برنامج عمل فيما بعد. وعند الانتهاء من جمع هذه المعطيات، نتوجه إلى استخدامها في نطاق البرنامج المرتقب، وهناك عدد من البحوث الخاصة ببرامج تنمية المدينة والقرية والمنطقة، تدخل في هذا الإطار، بيد أن هناك بحوثا أخرى تصلح لإبانة تعقد مشكلة ما، وتقدم تفسيرات لها، وتتوقع نتائج لهذا العامل أو ذاك من العوامل

التي يكون تدخلها ممكنا أو مرجحا . في مثل هذه الحال تكون الطريق بين انتقال نتائج البحث و بين العمل المستند إلى هذه النتائج طويلة جدا.[18]

نماذج المتعاقدين:

وهم يتراوحون بين الأشخاص الخاصين وبين السلطات العامة مرورا بالشركات التجارية والمنشآت الصناعية، أو الجمعيات الخيرية. إن ما ينتظر هنا من الباحث يمكن أن يختلف اختلافا بينا حسب الحال، وكذلك الأمر باستخدام نتائج البحث. فهذا الاستخدام مرهون بنماذج العلاقات القائمة، وبالنوايا والقيم، والاتصالات، إنها مجموعة من المتغيرات تستحق أن تدرس كل واحدة منها منفصلة عن الاخرى [19]

- **أساليب التفكير:**

إن رجال الإدارة يقفون أحيانا موقف الحذر من الباحثين، لأن هؤلاء لا يخضعون إلى سلطتهم من ناحية أولى، ولأنهم لهم مفاهيم واهتمامات تختلف عن مفاهيم واهتماماتهم من ناحية أخرى. إن أكثر المنظمات الجماهيرية المعنية بالتأثير الاجتماعي وبالاستراتيجية، تفضل بوجه عام الدعاية وتكوين الرأي العام في اتجاه معين، بدلا من الإعلام العلمي الموضوعي.

وفي الاتجاه ذاته قد تكون السلطات العامة، بوصفها مستخدمة للبحوث التي مولتها، أكثر حساسية للظرف السياسي الراهن، فتتصرف بالتالي تصرفا قصير النفس استنادا إلى ذاك الظرف ولا تتصرف تصرفا طويل النفس يحكم التحليل الاقتصادي والاجتماعي[20]

[18] - Lazarsfeld (W.H.) Sewell (H.L.): The Uses of Sociology, New York, 1967. P. XXVII.

[19] - *Ibid*

[20] - ناجي عبد القادر: أجهزة تنظيم البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 131- 133

الاتصالات بين الباحثين و رجال العمل:

يمكن القول أن الموضوع الرئيسي من مشكلة العلاقات بين البحث الموجه والعمل، هو موضوع الحوار. فبنوع الحوار يتعلق توجيه البحث كليا، كما يتعلق تقبل النتائج والإحاطة بها. إن نوع الحوار هو الذي يساعد على تقليص سوء التفاهم والالتباس، والإخفاق هنا وهناك.

من الناحية المبدئية فإن الحوار مفيد طوال سريان البحث: أثناء إعداده، وأثناء تنفيذه وأثناء نقل النتائج. والواقع أن ثمة فترتين بالغتي الأهمية وحاسمتين: وهما انطلاقة البحث واختتامه.

في فترة انطلاق البحث يتطلب الحوار إجابة تامة عن السؤال المطروح: ينبغي على الباحث ورجل العمل أن يتفاهما.

إن الباحث يعرض بصورة عامة مشكلته بصيغ مشخصة: إعادة الاندماج الاجتماعي للجانبين أو مكافحة وفيات الأطفال وغير ذلك.. والقضية بالنسبة للباحث هي أن يحيط إحاطة جيدة بالمعطيات الأساسية لهذه المشكلة.

ومن ناحية أخرى ينبغي وضع الموضوعات العملية في صيغة بحث، فليس المطلوب فقط اكتشاف موضوعات البحث القادرة على إيضاح المقررات الواجب اتخاذها، بل المطلوب أيضا، اختيار أكمل البحوث تلك التي تيسر إلى أقصى حد اتخاذ القرار.

إن وضع ذلك في صيغ بحث ليس دوما بالأمر الميسور، بل إن يسره يقل أكثر فأكثر بنسبة ما يصاغ الطلب في صيغ عامة: كقولنا كيف نقلل من عدد حوادث المرور، ما العمل كي نزيد من نسبة نجاح برنامج خاص بتنظيم النسل؟.

في اختتام هذا العنصر تظل المشكلة الأولى المطروحة هي مشكلة التعبير، إذ ينبغي على الباحث أن يحرص على القول بلغة واضحة ما ألف التعبير عنه بلغة متخصصة، إذ مجرد نقل النتائج مرهون بذلك.

الحوار بين الباحثين:

لا يكفي أن نقيم حوارا نيرا مع رجال العمل، بل ينبغي أن يقوم حوار بدوره بين الباحثين أنفسهم. إن الاختصاصي، يعرض نفسه للجهود، وحين يكون البحث متعدد الفروع فثمة العديد من الحواجز يمكن أن تعرقل المجهود الجماعي أو تجعله عقيما.

فمن المستحسن أن يظل البحث الموجه قريبا من تطورات العلوم المسماة " بالصرفة " كما صرح بذلك ويحق " جوهان غالتونغ " : " إن كثير من البحث الموجه في المكاتب أو المؤسسات يصبح عقيما بسبب انعزاله عن البحوث الأخرى المجاورة، وبسبب كونه يديره أناس لا يتمتعون بحافز كاف لتجديد أنفسهم "[21]

فحين تطرق غالتونغ إلى مشكلات البحوث الموجهة عن السلام إبان أن تعقيد العلاقات بين الاختصاصيين في العلوم الصرفة والموجهة ليست أمرا ميسورا وأنه ينبغي الحرص على إقامة بني تأسيسية حافزة، وأن هذه البنى في عالمنا المعاصر إنما هي بنى الجامعات والمعاهد العليا. إن علاقات المبادلة هنا يمكن أن تقوم لا بين بحوث صرفة وحسب بل وأيضا مع البحوث الموجهة، إذ يتعاون معهد للبحوث تعاونا كبيرا مع معهد للتنمية أو مع معهد للرخاء الاجتماعي وهكذا ...

إن مفهوم البحث الموجه يستدعي عفويا مفهوم البحث القائم على تعدد الفروع أو تنوع الفروع. ومنذ المناقشات الأولى التمهيدية الخاصة بدراسة الاتجاهات الأساسية في مجال العلوم الإنسانية، تتأكد لنا الرابطة بين البحث الموجه والبحث المتعدد الفروع. فحين اجتمع في شهر افريل 1965 أعضاء مجتمع المشاورين المختصين، توقعوا أحداث فصل خاص بأهم مشكلات

[21] - Galtung (J.) : Peace Research, In : Les sciences sociales: problèmes et orientations La Haye – Paris Mouton – Unesco 1968,P. 201

البحث الموجه، وهو بالضرورة الفصل الخاص بتعدد الفروع [22] و التعبير الإنجليزي Multidisciplinary Problem- Focused Research واضح تماما.

وما أن نهتم بإيضاح مشكلات اجتماعية مشخصة، هي بالضرورة معقدة، اعتمادا على البحث العلمي، يبدو من البديهي أن نلجأ إلى فروع علمية متعددة. ففي فرنسا، ترى المفوضية العامة للبحث العلمي والتقني أن العمل المنسق في سبيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية محتاج إلى تعبئة إسهامات فروع علمية متنوعة: ينبغي إذن أن تحذر من تحديد نهائي لميدان الدراسات، وأن نعمل على الاعتماد على فروع تتيح تحليلاتها المتكاملة فيما بينها إلى أن نحيط بمجموع ظاهرة التنمية بواسطة ملاحظات عديدة، والى أن نستخلص منها إن أمكن ما فيها من ثوابت وقوانين. [23]

وقد أوضح جوهان غاليتون الفرق بين العلوم الصرفة والعلوم الموجهة على أن أساس أن للأولى ميدانها التقليدي بينما تشكل الثانية قطاعا جديدا من البحوث انطلاقا من مجموعة قيم (كالرقابة الاجتماعية والعدالة والسلام وغيرها ...الخ) فأبان بصورة رائعة الطابع المتعددة الفروع بالضرورة الخاص بالبحث الموجه، وقد أوضح ذلك برسم بياني يظهر فيه تقاطع الخلايا كدليل على المتدخلات وعلى الإسهامات المتبادلة. [24]

الخاتمة:

لئن صح أن البحث العلمي شديد الكلفة، وأن المجتمع على العموم أكثر ميلا إلى التوضيفات المفيدة ذات المردود المرئي في المدى القصير أو المتوسط، فان ميادين البحث الموجه والبحث التطبيقي هي أكثر جدارة بأن تمول تمويلا جيدا. وهنا يمكن أن يكون الوضع مختلفا بين ميدان العلوم

---

[22] – سيتوارت ماكلور، من التعليم الجامعي إلى التعليم العالي، مرجع سابق، ص 62.

[23] - Commission Nationale Française pour l'Unesco. Tendances principales de la recherche dans la domaine des sciences sociales et humaines, 1966 P.2

[24] - *Op. cit* ., P. 69-79

الطبيعية وميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية: فالأولى برهنت على فائدتها وهي تتمتع بمجموعها وبشكل مسبق بتصويت الثقة بها. أما الثانية فينبغي لها أن تواصل النضال الشديد لتبلغ ثقة مماثلة، ومن المرجح أنها ستنالها بسهولة كبيرة انطلاقا من بحوث موجهة متعددة الفروع تحمل نتائج " صارخة " أو بحوث تطبيقية تقدم تقنيات أو وسائل أو معلومات يمكن الإفادة منها فورا.

إن أهم التطورات يمكن أن تتحقق إذن في هذه المستويات أكثر مما تتحقق في المستوى النظري، مما يؤدي إلى النتيجة التالية وهي أن الدافع، في ميدان المعرفة، تنطلق بترتيب رئيسي من القطاع الموجه أو التطبيقي متجهة نحو القطاع النظري.

إن البحث الموجه، بحكم وضعه بين البحث الأساسي الحر والبحث التطبيقي، يمكن أن يقدم سمات مشتركة بين هذا وذاك فلئن كان حرا و أساسيا في طراز إعداده وفي نتائجه، فهو اقل من ذلك في تصوره. ثم أننا نجد في إمكانية تطبيقه وفي إمكانية ترجمة نتائجه فورا إلى أعمال تأكيدا آخر مشخصا على طابعه الموجه.